

تقديم

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ..

يأتى هذا الكتاب نفحة مباركة من إبحار تتوق إليه النفس فى الشوق المتواصل إلى العلم .. الشوق الذى لا تفتر همته ولا تحده حدود .. وكما يبدو للوهلة الأولى من عنوان الكتاب ، فى الدعاء لله بأن يزيدنا علماً ، وأن يفتح لنا مغاليق ما نجهل من طريقنا نحو العلم والمعرفة .. أى نحو معرفة الله حق المعرفة وحق اليقين.

إن المؤلف غنى عن التعريف ، فهو ممن أحرزوا قصب السبق فى كل مجال كتب فيه .. سواء أكان فقهًا أم أدبًا أم شعرًا .. أما المؤلف فهو يضم من الموضوعات ما يجعله ثريًا فى محتواه ويزيد على ذلك ألق العرض ورشاقة التناول واتساق موضوعاته فى متوالية فكرية رفيعة المستوى .. استلهم المؤلف فى تصنيفه كلمة « زمرة » فى إشارة واضحة إلى ما لهذه الكلمة من سياقات فى التعبير الإسلامى ، تدل دلالة بينة على ترابط موضوعات كل جزء ، فى سياق لا يخفى على القارئ اللبيب .. بأن ما تحتاجه أمتنا العربية لكى تعبر « خندق » التحديات الذى وضعنا فيه أنفسنا ، قبل أن يضعنا الآخرون ، هو أن نكون « زمرة » ...

يقع الكتاب فى أربع زمرات ، يتناول أولها مكانة العلم فى الإسلام ، وتتضمن ثانيها التعريف بالعلوم الشرعية وغيرها من علوم اللغة والإنسانيات والعلوم التطبيقية ، بينما تأتى منهجية البحث العلمى فى

الإسلام وأهميتها وكيفية الحكم على التصورات وقيمة تدوين العلم والعناية بالمخطوطات في الزمرة الثالثة .. ويختتم كتابنا القيم بتوضيح خصائص التعليم الإسلامى وأساليبه في الزمرة الرابعة ...

إن الكتاب بتشكيلته هذه ، ليعد تشكيلة منفردة ، تسلل مفرداتها ومعانيها إلى القلب ، فتَهزّج الوجدان وتثرى الفكر ، لا لشيء ، وإنما لأنها خرجت بصدق من قلب وعقل مؤلفها .

الناشر

مُقَدِّمَةٌ

آية الشعار: ﴿رب زدني علماً﴾

في ظل هذا الشعار الذي علمه الله لنبيه حين خاطبه بقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١) نقدم شذرات عن فضل العلم والتعلم ومكانة العلم في الإسلام، ومنهجية البحث العلمي، وخصائص التعليم الإسلامي وأساليبه، والجهود التي بذلها العلماء لإرساء الحضارة الإسلامية على أسس من الثقافة الرفيعة ومظاهر الرقي المختلفة.

قال العلماء: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم، حيث قال عز وجل: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. وهذه الآية الجليلة وسبب نزولها يعطي طالب العلم أمرين لا بد منهما:

الأمر الأول أنه لا بد من الاستزادة من العلم والترقي فيه درجة بعد أخرى فليس للتعلم في الإسلام نهاية، والدليل على هذا أن الله عز وجل أمر رسوله هذا الأمر الوحيد من نوعه بطلب الازدياد من العلم.

والمعهد في التشريع أن الله تعالى حين يأمر رسوله يطلب منه مطلق الفعل أو يطلب ما ييسر منه: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٢) ﴿قُمْ اللَّيْلَ

(١) سورة طه / ١١٤.

(٢) سورة المزمل / ٢٠.

إِلَّا قَلِيلًا، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا^(١). فالله عز وجل يخفف على عباده، مع الرأفة بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالأمة من تحمل ما هو فوق الطاقة من العبادة العملية أو القولية، أما العلم فإن الله عز وجل أمر رسوله أن يزداد منه، وأن يتبسط فيه، لأنه ليس للتعلم نهاية، وليس للعلم حدود، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢). وفي القصص القرآني شواهد كثيرة على ذلك من سنن الأنبياء وقصص المرسلين، فقصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضر معروفة، ولها حديث آخر سيأتي بعون الله.

هذا ما يتصل بنص الآية التي هي شعارنا هنا.

أما الأمر الثاني فهو ما يتصل بسبب نزولها فإنه يعطي أدبا آخر من آداب التعلم، وهو التدرج في التعلم، لأن سبب نزولها هو ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم حين نزول القرآن عليه، من ترداد الآيات التي يتلقاها بالوحي وتحريك لسانه تعجلا بحفظ القرآن حتى لا يفوته منه شيء. فترل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣). أي إن هذا العلم لا يأتي جملة واحدة وإنما يؤخذ بالتدرج، فهذه لطيفة من اللطائف في آداب التعلم علمها الله رسوله وعلمها هذه الأمة المحمدية. ولذلك يقول الإمام الزهري وهو من العلماء الذين ورثوا علم الأنبياء: "من أراد العلم جملة فاته جملة، وإنما يؤخذ العلم حديثا وحديثين".

(١) سورة المزمل / ٢ - ٤.

(٢) سورة الإسراء / ٨٥.

(٣) سورة طه / ١١٤.

فهذه الآية بمنصوصها وبسبب نزولها أرشدت طالب العلم إلى أن عليه أن يتوسع في طلب العلم وأن لا يتوقف عند حد، فلا حصوله على شهادات عليا غاية للتعلم، ولا كبر سنه نهاية لكسب العلم وطلب المعرفة، ولا سعة ماله وحسن ظروفه يغنيه عن البحث والاطلاع، بل يظل الإنسان يتعلم ويتعلم ويرفع يديه قائلا: رب زدني علما.

وكذلك عليه ألا يطمع في تحصيل العلم جملة واحدة، لأن من أراد تحصيل العلم جملة واحدة حصل له من المبالغة وشدة الحرص وكثرة الإلحاح ما يجعل العلم يفوت عليه جملة واحدة لأن العلم يؤخذ بالتدرج والعلم بالتعلم كما أن الحلم بالتحلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعلموا العلم، وتعلموا للعلم الوقار"^(١). فإذا تدرج الإنسان وتلطف وعامل نفسه بما تقوى عليه فإنه يكون حكيما والحكمة وضع الشيء في موضعه.

فالازدياد من العلم والتدرج في تحصيله هو الوسيلة الأولى التي ينبغي أن يحرص عليها طالب العلم، ولذلك خص الله عز وجل هذا الأمر بطلب الازدياد منه وأفرده عن جميع الأوامر التي أمر الله عز وجل بها نبيه.

إن استمرار التعلم هو بركة للزمن، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني لله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم"^(٢) وهذا الحديث يبين أن البركة تحصل للزمن بملكته بالعلم.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (فيض القدير للمناوي ٢ / ٢٥٣).

(٢) رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر.

والعلم معرفة الأشياء والأمور كما هي عليه واكتشاف حقيقتها، فكل ما يسمعه الإنسان ويشاهده إنما هو أسرار في هذا الكون . وإذا تطلب الوصول إلى سر هذه الأمور فإنه يدرك حكمة الله في خلقها، ويدرك ما فيها من نعم الله عز وجل، فتحصل له البركة والخير العميم .

و إذا أغمض الإنسان طرفه عن هذه الحقائق الكونية وملاً زمنه بالتفاهات ولم يكلف نفسه عبء التعلم ، فإن هذا الزمن يكون شؤماً ويكون محسوباً عليه ويسأل عنه يوم القيامة، لأن الإنسان لا تزول قدماء يوم القيامة حتى يسأل عن أربع، إحداها: عمره فيم أفناه، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً أن خير ما في هذه الدنيا هو العلم وهو أولى ما ينبغي الاستكثار منه : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا " ^(١) . أي إن هذه الدنيا ليس فيها شيء جدير بالتعلق به إلا ذكر الله عز وجل وما والاه وما كان متصلاً بتعزيزه وتقويته ومنه العلم والتعلم .

(١) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابن ماجه والبيهقي .